أثر العقيدة على العمارة الإسلامية في الهند

بحث من إعداد الأستاذ الدكتور
رأفت غنيمي الشيخ
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
عميد كلية الآداب – جامعة الزقازيق سابقاً
مؤسس معهد الدراسات الآسيوية – جامعة الزقازيق
مؤسس كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة قناة السويس
مستشار رابطة الجامعات الإسلامية

مقدمـــــة

اشتركت في المؤتمر الأول عن العمارة والفنون الإسلامية ببحث عنوانه: **«أثر العقيدة الإسلامية في العمارة بأقطار آسيا الوسطى»**، وفي هذا البحث في هذا المؤتمر الثاني، اخترت: **«أثر العقيدة في العمارة الإسلامية بالهند»** وهو موضوع يقوم على أثر الإسلام في المجتمع الهندي منذ دخل الإسلام إلى شبه القارة الهندية ذات الحضارة الموغلة في القدم.

وفي هذا البحث كان علينا استعراض شبه قارة الهند باعتبارها عالم قائم بذاته من حيث الجغرافيا الطبيعية والبشرية، وتنوع السكان ولغاتهم وديانـاتهم، حتى إذا جاء الإسلام إلى هذه البلاد أثر في شعب القارة الهندية تأثيراً بليغاً سواء في العادات والتقاليد الاجتماعية والثقافية أو في العمارة والفنون، بحيث شهدت شبه القارة الهندية مظاهر حضارية إسلامية تنوعت من قصور وبوابات وأضرحة ومساجد ومدارس.

وكانت الأضرحة التى اشتهرت بها الهند الإسلامية غاية في الروعة ومازالت مزارات سياحية منذ بنائها حتى اليوم، ولعل أشهرها ضريح «تاج محل»، إلى جنب المقابر، والمساجد المتناثرة على أرض شبه القارة بعمارتها التى وإن ظهر فيها النمط الهندوكي – إلا أن العمارة الإسلامية المستمدة من العقيدة والشريعة الإسلامية كانت أوضح.

وسوف أسوق بعض صور التراث المعماري الإسلامي لتوضيح التأثير الإسلامي على العمارة في شبه القارة الهندية، والتى مازالت تشهد على عظمة الحضارة الإسلامية وأصالتها وبقائها صامدة، تؤدي دورها في مسيرة الحضارة الإنسانية.

شعب الهند

شبه القارة الهندية عالم قائم بذاته يعزله عن بقية قارة آسيا في الشمال جبال الهمالايا الشامخة التى تعرف بسقف الدنيا، وتتفرع منها في الشرق جبال آسام، أما في الغرب فيتفرع منها جبال الهندكوش حتى الشاطئ جنوباً وفيما عدا ذلك فالبحر من ورائها محيط.

ويقع شبه القارة الهندية في القسم الأوسط الجنوبي من قارة آسيا، وتمتد في قلب المحيط الهندي على شكل مثلث قاعدته في الشمال ورأسه في الجنوب، ويحده من الشمال الصين ونيبال وبوتان، ومن الشرق خليج البنغال وبورما ومن الغرب بحر العرب والمحيط الهندي الذي يحده كذلك من الجنوب.

وتجرى في شبه القارة الهندية عدة أنهار أهمها الكنج والسند، والأول مقدس عند الهنادكة، والثاني أطول بروافده، وتضم وديان هذين النهرين أغلب أراضي الهند الزراعية وأخصبها، والتى تعد أكثر مناطق الهند ازدحاماً بالسكان، وهذا إلى جانب عدة أنهار تجرى في هضبتها الوسطى – هضبة الدكن – وإلى الجنوب منها والتى تعتمد على مقدار ما يصب في منابعها من أمطار الرياح الموسمية، ويترتب على ذلك عدم انتظام كميات المياه التى تجرى فيها[1].

ويعيش نصف سكان شبه القارة الهندية في السهول الشمالية التى لا تشغل سوى خمس المساحة الكلية، ومعظم سكان الهند مازالوا يعيشون في القرى، بينما تخلو أجزاء من الصحراء من السكان، ويعيش عشر السكان فقط في المدن التى يزيد عددها على الخمسة آلاف نسمة، وإن عدد سكان الهند في زيادة مستمرة، حيث بلغ عددهم في إحصاء عام 1991م حوالي 845 ألف، وترجح المصادر أن عددهم الآن فاق الألف مليون نسمة[2].

وأقدم من سكن الهند في الغالب أقوام لهم سمات الزنوج، ثم وفد في عصر ما قبل التاريخ موجات بشرية من أواسط آسيا، إلى جانب موجات آرية قادمة من الشمال الغربي كان منهم الآريون والهياطلة والترك والمغول. ويمكن القول أن شبه القارة الهندية إجمال لجميع أدوار تاريخ البشرية في شتى صوره، ففيها تمثيل كامل لفروق الآدميين وما عرفوه من معتقدات منذ ظهور الوثنية حتى اهتداء الناس بالتوحيد.

ويمكن تحديد القوميات التى تسكن شبه القارة الهندية فيما يأتي:

1. البلوخ أو البلوش Baluch: ويعيش معظمهم في السهول والجبال الجافة فيما يعرف الآن بولاية بلوخستان الباكستانية والأقاليم المجاورة في السند والبنجاب إلى جانب أقلية منهم في بلوخستان الإيرانية وفي مناطق سيستان وريجستان الأفغانية.
2. البنجابيون Punjabis: ويرجع الاسم لسكناهم لأرض البنجاب، وهم مجموعة سائدة فيما عرف الآن بالباكستان والبنجاب الهندية.
3. البوهتون Puhtun: ويسكنون فيما عرف الآن بالباكستان وأفغانستان، ويطلق عليهم في الهند اسم الباتان.
4. البنغاليون Bangalis: ويسكنون إقليم البنغال في شرق شبه القارة الهندية.
5. الأيماق Aimaq: ويعني الشعب القبلي، ويسكنون في غرب أفغانستان وما جاورها من خراسان الإيرانية.
6. النورستان Nuristani: ويعيشون في شرق أفغانستان، ويختلفون عن الأفغان من النواحي اللغوية والطبيعية والحضارية[4].

وينقسم الشعب الهندي إلى طبقات اجتماعية متباينة على شكل هرم، فتصنف كهنة المعابد البوذية في أعلاه، يليهم المحاربون فالزراع فالخدم، وهناك المنبوذون الذين ترفضهم كل طبقة وتحتقرهم كل جماعة فلا يلتقون بهم، كما أن الطبقات الأخرى ينفصل بعضها عن بعض بفاصل كبير[5].

وفي شبه القارة الهندية حوالي 240 لغة و300 لهجة، وترجع لغات الشمال إلى الأصل الآري، في حين تنتسب لغات الجنوب والوسط إلى الأصل الدرافيدي، وللغة السنسكريتية من بين لغات إقليم الهند أهمية خاصة، فهي لغة الكتب المقدسة القديمة، وهي من لغات إقليم البنغال، وقد ظهرت في شكلها الحديث منذ حوالي ألف عام بعد الميلاد[6].

أما اللغة الأوردية فهي على رغم حداثة عهدها (قبل القرن العاشر الهجري الموافق القرن السادس عشر الميلادي) فتعد أوسع لغات شبه القارة الهندية انتشاراً، وهناك اللغات البنغالية والبنجابية، والأوردو إحدى لغات المجموعة الإيرانية – الهندية، وتعني لغة المعسكر، وقد دخلت مع المغول، واكتسبت مكانتها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، فأصبحت لغة المجتمع والإدارة المحلية في شمال الهند.

وهناك أيضاً لغات البشتو الأكثر أهمية في أفغانستان باعتبارها اللغة الرسمية هناك إلى جانب انتشارها في إقليم الحدود الشمالية الغربية وإقليم بيشارو في باكستان الحالية، واللغة البلوخية التى يتحدث بها جماعات البلوخ في أفغانستان وفي إيران، والكشميرية وهي لغة إقليم جامو وكشمير وهي من أصل سنسكريتي وتأثرت باللغة الفارسية[7].

وتعددت ديانات أهل شبه القارة الهندية، حيث هناك تمثيل كامل لمراحل العقائد من الوثنية حتى التوحيد، والواقع أن نظم الهند الاجتماعية تقوم عل

معتقداتها، ولقد عرفت الهند قبل عصر البراهمة جملة من الآلهة تمثل قوى الطبيعة كالنار، والشمس، والسماء، وكان الهنود يعتقدون كذلك بخلود الروح، ويقدسون الموتى من أسلافهم، كما يقدسون الأفاعى والقردة والنمور والثيران والأشجار. هذا إلى جانب البوذية وصاحبها «كوتامابد» والجينية وصاحبها «مهابير» بالإضافة إلى الديانتين المسيحية والإسلام[8].

الإسلام في الهند

لقد دخل المسلمون إلى شبه القارة الهندية حينا بدافع ديني مجرد من كل مصلحة، ودخلوها حيناً آخر كغزاة فاتحين وملوك طامحين كالسلطان محمود الغزنوي، وشهاب الدين محمد الغوري، وظهير الدين بابر التيموري. وقد دخل المسلمون في الهند وهي تعتز بحضارة أصيلة عريقة في القدم وفلسفة عميقة وخيرات عظيمة، ومع ذلك كانت تعيش منذ قرون في عزلة عن العالم.

دخل المسلمون الهند وهم – أي المسلمون – أرقى أمة في الشرق، بل في العالم المتمدن المعمور في ذلك العهد، يحملون ديناً جديداً سمحاً، وعلوما اختمرت وتوسعت، وحضارة تهذبت ورقت حواشيها، ونتاج حضارات متنوعة متعددة، يجمعون بين سلامة ذوق العرب ولطافة حس الفرس، وفروسية الترك[9].

فقد دخل الإسلام إلى شبه القارة الهندية على أيدي التجار العرب، إذ كان للعرب علاقات تجارية مع الهند ترجع إلى سنوات طويلة قبل ظهور الإسلام، ولكنهم حين وفدوا إلى شبه القارة الهندية مسلمون في مطلع القرن العاشر الميلادي. أقاموا على طول الساحل الغربي، وتزاوجوا مع أهل البلاد، حتى إذا جاءت الفتوح الإسلامية في عهد الأمويين، وجدت الطريق ممهداً لنشر العقيدة الإسلامية، حتى إذا أخذ نفوذ العباسيين يتقلص عن الهند بضعف دولة الخلافة استقل بحكمها بعض الأمراء، وكان هذا النفوذ غالباً في غرب

شبه القارة الهندية، وإن شئنا التحديد قلنا في أرض السند وهي المنطقة التى تكون باكستان اليوم[10].

ومما تجب ملاحظته أن المسلمين منذ أن دخلوا السند وانحدروا منها إلى بقية شبه القارة الهندية لم يتخلوا عن هذه البلاد قط، كما أن الفاتحين الذين جاءوا قاصدين الهند وفدوا بطريق السند من الشرق أو من الغرب ثم انحدروا إلى الهند[11].

وكان أول فتح إسلامي كبير للهند هو ذلك الفتح الذي قاده السلطان محمود الغزنوي أمير الأفغان عام 1001م، حيث اتخذ من البنجاب مركزاً انطلق منه الفاتحون الإسلاميون بعده لفتح بقية أجزاء شبه القارة الهندية، بل ولنشر الإسلام الذي وجد قبولاً كبيراً لدى أهل الطبقات الدنيا والفقيرة من الهنود الذين دخلوا الإسلام أفواجاً وتمتعوا بما ينادي به الإسلام من أخوة حتى كانوا بعد ذلك يرتقون إلى مستوى الفاتحين[12].

ومنذ أن وفد الإسلام إلى الهند والمسلمون لهم القوة والجاه والسيادة في شبه القارة الهندية، فكانت الدولة الإسلامية التى أسسها قطب الدين محمد الغوري عام 589هـ الموافق 1193م على أنقاض الدولة الغزنوية، أقوى دولها، فقد وسعت كل شمال الهند من مرتفعات «فنديا» جنوباً إلى جبال «الهيمالايا» شمالاً، ثم تلتها أسرات إسلامية قوية حكمتها خلال القرون الخمسة التالية متخذة من مدينة «دهلي» مركزاً وعاصمة للدولة الإسلامية، وإن لم تحاول التوسع جنوباً أو تجعل من الهند كلها دولة إسلامية موحدة.

حتى إذا كان عام 932هـ الموافق لعام 1526م حكمت الهند الدولة «التيمورية» أو الدولة المغولية التى كان عهدها أزهى عصور الحكم الإسلامي في شبه القارة الهندية، كما بلغت من القوة والاتساع حداً لم تشهده دولة إسلامية سابقة في الهند، وشهدت البلاد في العهد التيموري حضارة من أزهى الحضارات الإسلامية.

ولكن منذ القرن السادس عشر الميلادي أخذت الدولة الإسلامية في الهند تضعف وتتفكك رقعتها الواسعة بإعلان بعض الأمراء استقلال المناطق التى

يحكمونها، وشعر البراهمة بأنهم مهددون بالخراب والاندثار، فشرعوا يبشرون بدعوة لليقظة الهندية، فآل الأمر على تضعضع سلطان السلالة المغولية، وجمع بعض أمراء الهندوس والسيخ الجيوش وشنوا حروباً على الدولة الإسلامية، واقتطعوا لهم من جسمها الكبير ولايات يحكمونها، والملوك المسلمون في دهلى يضعفون شيئاً فشيئاً، وينحسر نفوذهم وينكمش، حتى لم يعد لهم سلطان ولا نفوذ، حتى إذا كان أوائل القرن الثامن عشر الميلادي انقرضت الملكة المغولية[13].

وجاء تفتت الدولة الإسلامية في شبه القارة الهندية مهيئاً للأطماع الاستعمارية الأوروبية لكي تسيطر على تلك البلاد، حيث شاركت كل من البرتغال وهولندا وفرنسا وبريطانيا في التسابق لاقتطاع أجزاء من ممتلكات الدولة الإسلامية في شبه القارة الهندية.

وقد تركت الدولة الإسلامية في شبه القارة الهندية آثاراً آية في الروعة والعظمة منها على سبيل المثال لا الحصر مقبرة السلطان «جهان كير» وهي تقع في بستان كبير يقع على بعد بضعة كيلومترات من مدينة لاهور، وكتب على المقبرة: نور الدين محمد جهان كيرباد شاه 1037هـ، وقبر زوجته «نور جهان» المشابه لمقبرته والتى تبعد عنها بحوالي كيلو متر واحدا[14].

كما كان من الآثار الإسلامية كذلك قبر «تاج محل» الذي بناه السلطان «جهان شاده» سنة 1630م لزوجته المحظية التى كان قد ملك هواها قلبه، وتدعى الأميرة «ممتاز محل» بمدينة «أجرا»، التى تقع الآن في جمهورية الهند، وكانت الأميرة «ممتاز محل» قد ماتت وهي نفساء في مقتبل العمر، فناشدت السلطان أن يخلد اسمها في بناء عظيم الشأن فبنى لها ذلك المدفن النادر المسمى بالتاج[15].

ونتساءل ما هي تأثيرات الإسلام في الهنود؟

كان تأثير الإسلام في الديانة الهندوكية عميقاً في عهد الدول الإسلامية لشبه القارة الهندية، إن فكرة عبادة الله في «الهنادك» مدينة للإسلام. إن قادة الفكر والدين في هذا العصر، وإن سموا آلهتهم بأسماء شتى قد دعوا إلى عبادة الله، وصرحوا بأن الإله واحد وهو يستحق العبادة، ومنه تطلب النجاة والسعادة. وقد ظهر هذا التأثير في الديانات والدعوات التى ظهرت في العهد الإسلامي كديانة «باجتي» ودعوة «كير داس» وهو شاعر متصوف ينتقد المجتمع الهندي ويدعو إلى الإصلاح، اختلف الناس في ديانته[16].

ويقول جواهر لال نهرو معلقا عن أثر دخول الإسلام إلى شبه القارة الهندية، إن دخول الغزاة الذين جاءوا من شمال غرب الهند ودخول الإسلام له أهمية كبيرة في تاريخ الهند. إنه فضح الفساد الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندوكي، إنه قد أظهر انقسام الطبقات واللمس المنبوذ وحب الاعتزال عن العالم الذي كانت تعيش فيه الهند. إن نظرية الأخوة الإسلامية والمساواة التى كان المسلمون يؤمنون بها ويعيشون فيها أثرت في أذهان الهندوس تأثيراً عميقاً، وكان أكثر خضوعاً لهذا التأثير البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندي المساواة والتمتع بالحقوق الإنسانية[17].

كذلك أثر الإسلام في حياة الهنود الاجتماعية مثل إصلاح تقليد ما يسمى «ستي» وهو إحراق الأرملة نفسها أثناء عملية إحراق جثمان زوجها الميت، حيث لا يرين ولا يرى المجتمع لهن حقاً في الحياة بعد الأزواج. وجاء هذا الإصلاح عن طريق موافقة الحاكم الذي لم يكن يأذن لهذه العملية لأن الإسلام يحترم المرأة لها بالحياة والزواج بعد وفاة زوجها.

وقد نقل المسلمون إلى الهند علوماً جديدة مثل العلوم الإنسانية، وعلم التاريخ، حيث كانت الهند فقيرة في التاريخ، حيث كون المسلمون مكتبة تاريخية هائلة من أوسع المكتبات التاريخية في العالم، وفيما عدا بضعة كتب دينية دفنت فيها بعض حوادث تاريخية كأساطير وقصص يعسر جداً معرفة أحوال الهند القديمة، كما يعسر معرفة أحوال جزيرة أطلانطس» الخيالية التى ذكرها أفلاطون أنها دمرت في انقلاب أرضي، والحق أن دور الهند التاريخي لم يبدأ إلا بعد الفتوحات الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي بفضل المؤرخين المسلمين[18].

وقد اكتسب الهنود من دخول الإسلام بلادهم توسعاً في الخيال وجدة في التفكير نتيجة احتكاك الحضارة الإسلامية بالواقع الهندي المتلقى للمؤثرات الحضارية الإسلامية، وكان مما منح المسلمون للهنود هذه اللغة الجميلة الواسعة التى أصبحت لغة التفاهم ولغة العلم في الهند التى عرفت بكثرة اللغات واللهجات، وتعني بها لغة «أردو» كما كان تأثير المسلمين في المدنية والصناعة وأساليب الحياة أبرز وأقوى منه في نواح أخرى، فقد أدخلوا في هذه البلاد حياة جديدة تختلف عن الحياة القديمة في هذا القطر، كما تختلف الحياة في أوروبا اليوم عن الحياة في العصور الوسطى[19].

ومن مظاهر تأثير المسلمين في ثقافة الهند وحضارتها تأثير اللغة العربية التى حملوها إلى هذه البلاد في لغات الهند ولهجاتها وأدبها وحضارتها، وذلك أن المسلمين في الهند أوفياء لوطنهم لا يتشاغلون عن خدمته والتقدم في ميادين العلم والصناعة والمدنية، أوفياء لدينهم وثقافتهم الإسلامية العربية، لا يتخلفون عن ركبها ولا ينقطعون عنها، ومن ثم نجد أن حضارة الهند المعاصرة وليدة عاملين ومؤلفة من تأثيرهما وانعكاساتها، **أولهما**:

المعتقدات الدينية، المبادئ الإسلامية والأخلاق، **وثانيهما**: تأثير الحضارة المحلية في البلاد والاتصال بعناصر السكان الأخرى والاختلاط بهم[20].

كما أن تأثير الإسلام على المجتمع الهندي ظهر حتى في شعر الشاعر الهندي الكبير «رابندرانات طاغور» حيث قال:

تباركت يا محرك العقل البشري ... يا من بيده مصائر الهند

باسمك تعمر قلوب الناس في ... البنجاب والسند وفي جوجارات ومارتا

وفي الوديان في فيد هياد ... الهيمالايا يتردد ذكرك

وبالموسيقى المنبثقة من نهري ... يامونا وجوجانجز يمتزج اسمك

وبه تتغنى الأمواج في بحر الهند ... كما تسبح بحمدك وترتل آلاءك ونعمك

أنت يا من تهيمن على مصائر الهند ... المجد .. المجد .. المجد لك[1]

العمارة الإسلامية في الهند

ومن التراث المعماري الهندي المتأثر بالعقيدة الإسلامية البوابات والأضرحة والمساجد، ففي مدينة بومباي توجد بوابة الهند (المرفقة صورتها)، والتى تعتبر أشهر معالم بومباي ورمزها المميز والمدخل البحري الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة الهندية، إنها قوس النصر المشابه «للماربل Marpell Arche» المرمرى القائم في قلب لندن، أو «قوس النصر» في باريس.

وبوابة الهند أقامتها سلطات الحكم البريطاني في شبه القارة الهندية عام 1927م تخليداً لذكرى زيارة الملك جورج الخامس ملك بريطانيا العظمى، والملكة ماري، وتأكيداً للسيطرة البريطانية على شبه القارة الهندية أي «درة التاج البريطاني»، والناظر إلى صورة هذه البوابة «بوابة بومباي»

(1) مجلة العربي: أكتوبر 1997م.

يلاحظ بروز الفن الإسلامي مع الطراز الهندي، بما يشير أنه حتى الاستعمار البريطاني لم يغفل أثر العمارة الإسلامية في هذه البوابة. وقد شيدت بوابة الهند إلى الغرب من «براناكيلا» وهو نصب تذكاري عن الحرب العالمية الأولى.

ومن العمارة الهندية المتأثرة بالعقيدة الإسلامية، الأضرحة، فالناظر إلى صورة ضريح أحد أمراء أسرة قطب شاه في حيدر أباد يلاحظ العمارة والفن الإسلامي واضحاً، ومدينة حيدر أباد هي عاصمة ولاية «أندرا براديش»، وكان آخر حكامها في عهد أمراء الأقاليم «نظام حيدر أباد» الذي عرف كواحد من أغنى أغنياء العالم، ومدينة «حيدر أباد» العاصمة مركز مهم للثقافة الإسلامية، ومن أبرز آثارها المتبقية من عصرها القديم قوس النصر الشهير المقام منذ أربعمائة عام ويطلقون عليه اسم «شارمنيار» وهو يقع في وسط المدينة القديمة المحاطة بالأسوار. وقد تم استكمال بناء القوس عام 1687م.

وهناك أيضاً مقبرة «ألتماش» زوج ابنة السلطان قطب الدين، والتى تقع بالقرب من المسجد في «أجمير» حيث بدأ تشييده في عام 1200م، وانتهى خلال عهد «ألتامسن» الذي توفى عام 1235م ويبلغ طوله 264 قدماً وعرضه 172 قدماً وأسس على موقع معبد «جياتي» ويقع بمدينة دلهي.

وكانت أول الآثار التى شيدت خلال عصر السلطان «أكبر»، كانت مقبرة والده «همايان» في دلهي والتى شيدتها أرملته (1565-1569م)، والتى دفنت بها بعده، وتحيط بها الحديقة الرسمية، والتى

تحتفظ بأصالتها، وتتكون المقبرة من بناء ضخم من الحجر الرملي ذات الأقدام الاثنين والعشرين في الارتفاع مع أقواس مزينة بالرخام الأبيض.

وتعد فترة حكم «شاه جهان 1628- 1658م» وهو خامس حكام الإمبراطورية المغولية في الهند وهو الذي نقل عاصمته من مدينة أجرا إلى مدينة دلهي، وأسس بها المسجد الجامع والقلعة الحمراء أو القصر الملكي ومن حوله حدائق واسعة وبحيرات ونافورات، وفي وسط المدينة ضريح الزعيم المسلم «أبو الكلام أزاد»، وهو المكان الذي ألقى فيه خطابه الأخير قبل وفاته بأسبوع واحد، وقد اختار هذا المكان الزعيم الهندي جواهر لال نهرو لدفن رفيق كفاحه.

ويمثل عصر «شاه جهان» العصر الذهبي للفن المعماري الهندي المتأثر بالعقيدة الإسلامية. والذي خلف سلسلة من المباني العظيمة وأهمها روعة «تاج محل» المشهور في «اجرا» 1631- 1653م) والذي شيد بتكلفة قدرها أربعة ملايين ونصف إسترليني حسب العملة الحديثة، وذلك تخليداً لذكرى محبوبته الملكة «ممتاز محل» والذي سمى باسمها، والضريح مربع الشكل من 186 قدماً، ويتكون الشكل المربع من كتلة مركزية مرتفعة تزينها بروز من كل الزوايا، أما الغرفة المركزية الجميلة فهي مضاءة من خلال الرخام في فتحات النوافذ لكي تكسر وهج الشمس. ويقع الضريح على شرفة ارتفاعها اثنين وعشرين قدماً و313 قدماً مربعاً مع مئذنة مستديرة تقسم إلى مراحل عن طريق دهاليز في كل زاوية وكل هذه المباني من الرخام الأبيض اللامع والأحجار الكريمة بأنماط فارسية رقيقة وتحيط المجموعة حديقة في الشمال تعكس انطباعاً رائعاً[1].

([1]) تراث الهند: تحرير: ج.ت. جارات، ترجمة جلال السعيد الحفناوي، مراجعة عبد الله عبد الرازق، القاهرة، 2005م، ص171، انظر الصورة المرفقة.

ويلاحظ أن الآيات القرآنية المنقوشة على البوابة الرئيسية لـ «تاج محل» مكتوبة بشكل جعل كافة حروفها تبدو متساوية الحجم عند قراءتها من الأرض، والحقيقة أن حجمها يكبر تدريجياً من الأسفل إلى الأعلى. وقد بنى «تاج محل» بغاية من التناسب بحيث لا يمكن لأحد أن يتصور أنه أرفع من منارة «قطب» السلطان المغولي التى تعتبر أطول منارة (مئذنة) في العالم. ويبلغ ارتفاع «تاج محل» 243 قدم ونصف قدم، بينما يبلغ ارتفاع مئذنة قطب 239 قدماً فقط.

وكان الإمبراطور «شاه جهان» قد بنى حاجزاً من الذهب حول مقبرة زوجته «ممتاز» في «تاج محل»، ثم أزيل خوفاً من محاولة تخريبية، وبنى مكانه حاجز من الرخام مع شبكيات نفيسة، ولكنه أيضاً بيع من قبل أبنة «أورنجزيب» لتمويل حملاته العسكرية العديدة. فأقيم حاجز بسيط آخر نقشت عليه الأوراق والزهور بأنماط دقيقة، وهو مازال موجوداً هناك إلى اليوم.

وكانت مقبرة السلطان «جيهان كير» والتى تقع في بستان كبير يقع على بعد بضعة كيلومترات من مدينة لاهور، وكتب على المقبرة : «نور الدين محمد جيهان كيربادشاه 1037هـ» وهذه المقبرة رمز للعمارة الإسلامية في الهند بما تشتمل عليه من فن معماري وتصميم هندسي.

العمارة الإسلامية في الهند، مزيج من الإيمان والروعة

شبه قارة الهند هي موطن ثاني أكبر تعداد للمسلمين في العالم، وهم جزء أساسي وفاعل في تركيبة المجتمع الهندي، وقد ضرب المسلمون الهنود بوصفهم جزءاً من الأمة الإسلامية مثالاً للتعايش السلمي مع الأغلبية غير المسلمة، بينما قدموا إسهامات هائلة في دراسة مبادئ الإسلام وعلومه.

ويعود تاريخ الإسلام في الهند إلى بداية تاريخ الإسلام في العالم، ويشهد كل فصل من فصول هذا التاريخ الذي امتد على مدار الخمسة عشر قرناً الأخيرة على إسهامهم البارز في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية في الهند.

عرفت الهند الإسلام مع نزول الرسالة، وكان ذلك من خلال التجار العرب الذين كانوا يفدون إلى المناطق الساحلية ونظراً لأن هؤلاء التجار كانوا يتمتعون بصيت جيد بفضل تعاملاتهم التجارية النزيهة فقد قوبلت رسالة الإسلام التي جلبوها بكل الاحترام من جانب طبقات المجتمع الهندي كافة، أما الحكام فقد وجدوا في بسالة العرب الحربية سبيلاً لتوسيع ممالكهم.. وقد كان أبناء مالبار وجوجرات أول من أسلموا

في الهند، ونظراً لأنهم كانوا يرتبطون بعلاقات تجارية وثيقة مع أوروبا لذلك أضافوا قوة إلى قوة المسلمين الاقتصادية.

وقد خلفت فترة السلاطين تراثاً هائلاً من التحف الأثرية، مثل: قطب مينا، طريق الجراند ترانك.. وغيرها، كما يعود أيضاً الى تلك الفترة ظهور أفكار ومبادئ مهمة ساهمت في تطور المجتمع مثل تقنين القانون وإرساء المؤسسات الإدارية وتنظيم توريد الغذاء. وتعد مزارات معين الدين شيشتي ونظام الدين عليا، وبابا فريد بعض الأمثلة لجهود المتصوفة المسلمين في تلك الفترة في نشر رسالة المساواة والأخوة الإنسانية والتي كسبت القبول من الجميع بغض النظر عن حدود الديانة ثم جاء المغول فواصلوا مسيرة التكامل التي بدأها أسلافهم ووصلوا بها الى آفاق أكثر رحابة، فبعد مملكة أشوك وسلالة جوبتا العظيمة استطاع المغول أن يقيموا إمبراطورية شاسعة كانت محل إعجاب العالم أجمع لما تتمتع به من قوة ومكانة ورفاهية، وقد خلف المغول بعضاً من أهم وأجمل الآثار على مستوى العالم، ففي عهد شاه جهان وحده تم بناء بعضاً من التحف الأثرية والمعمارية التي لاتزال تدهش العالم، مثل تاج محل والقلعة الحمراء والمسجد الجامع التي وقفت لتتحدي بجمالها عمارة المعابد التي تفردت بها الهند.

البدائع المعمارية الفنية في الهند

تضم الهند آلافاً من المساجد التي لعبت دوراً هاماً في نشر الإشعاع الديني والثقافي للمسلمين في داخل البلاد وخارجها وكانت محط آمال طلاب العلوم الإنسانية الإسلامية واللغة العربية إلى جانب كونها مثلاً حياً لروائع الفن المعماري المستمد من الصبغة المحلية الهندية والإسلامية.

بناء المساجد في الهند

حينما تمكن نفوذ المسلمين في شمال الهند في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي كانت الهند تتبع آنذاك أسلوباً راقياً في فن البناء، وقد عرف المسلمون فن البناء الذي كان متبعاً في بلاد مصر وفارس وتركيا، ولم يكن بين هذه الفنون والفن المعماري الهندي كثير من أوجه الشبه لأن المساجد كانت عبارة عن مبان تقام لتغطية مكان فسيح مفتوح وتنقسم الى قاعات وغرف متسعة في بعض الأحيان بينما كانت المباني الهندية ذات تشكيلات بنائية وزخارف فنية مليئة بالصور الآدمية والأشكال الرمزية.

وبفضل الاتصالات بين الفنيين نشأ مزيج عجيب من هذين الأسلوبين في البناء وأتت إلى الوجود في أحضان الهند الفسيحة الأرجاء مساجد ضخمة تمثل خير ما حققته البدائع المعمارية الفنية في الهند وأصبحت شاهد عيان على التراث الثقافي الإسلامي فيها وجمال الفن الهندي - الإسلامي المشترك وفيما يلي نتناول بعض نماذج مساجد الهند التاريخية.

أول مسجد

شيد أول مسجد في شبه القارة الهندية بمدينة كدنجلور العاصمة القديمة لولاية كيرالا الواقعة على شاطئ بحر العرب في ساحل الهند الغربي المواجه لجزيرة العرب في عام 701م. ويقول المؤرخون أن رسالة من الرسول ﷺ قد وصلت الى ملك كدنجلور (شيرمان برومال) في عام 8 هـ وأن هذا الملك سافر الى مكة للقاء الرسول محمد ﷺ ، لكن كتب السيرة لم تذكر حصول هذا اللقاء ثم وصلت جماعة من المسلمين العرب

تحت زعامة (مالك بن دينار) الى بلاد كيرالا التي كان يطلق عليها المؤرخون العرب اسم - ملابار- لنشر الدعوة الإسلامية، ونزلت هذه الجماعة في كدنجلور أولاً ثم طافت بأنحاء البلاد تدعو الى الإسلام وتنشر مبادئه، وتعاليمه بين الناس وتبني المساجد والمعاهد الدينية، وقد بنى مالك بن دينار أحد عشر مسجداً في أنحاء كيرالا في ذلك الزمن وهي طليعة المساجد في شبه القارة الهندية وأولها مسجد كدنجلور المعروف الآن باسم مسجد شيرمان، ولايزال عامراً بالمصلين والزائرين ومحط أنظار الباحثين والسياح وقد أجمع المؤرخون على أن أول بقعة أشرقت بنور الإسلام في القارة الهندية هي منطقة كيرالا فلا بد أن تقع المجموعة الأولى من المساجد في تلك البقاع.

وأقدم مساجد دلهي هو مسجد (قوة الإسلام) الواقع في حرم(منار قطب) وتم تشييده بين عام 1191-1196 وقد بنى طبقاً لأسلوب فن البناء الهندي الإسلامي وهو عبارة عن مبنى مربع يتكون من قاعة كبيرة للصلاة في الجهة الغربية ومن سلسلة من الأعمدة والأقواس، وقد أجريت فيه بعض التوسعات في عام 1230 في عهد السلطان ألتاماش ولم يبق منه الآن إلا الهيكل الرئيسي وبعض الأعمدة والجدران مع زخارفها ونحوتها الرائعة من الآيات القرآنية وغيرها، وفي عام 1310م شيد مسجد ضخم على مقربة من ضريح الشيخ خاجة نظام الدين الداعية الإسلامي، وهو يستوفي جميع نواحي الفن المعماري الإسلامي ويشتمل على ثلاث غرف ذات قباب عالية ومنبر مرتفع ومحراب في الجهة الغربية ولايزال محتفظاً بأبهته وعظمته.

ويعتبر المسجد الذي بناه السلطان شير شاه في عام 1541 داخل القلعة القديمة في دلهي أفخم المساجد في الهند قبل العهد المغولي ويمتاز هذا المسجد بجمال زخرفي ومعماري مع وقاره في هيكله العام، وقد شيد في دلهي في تلك الفترة عدد من المساجد الرائعة ومنها(كالي مسجد) و(كهركي مسجد) وكلها ذات بوابات متعددة وقباب وأبراج كثيرة وأبواب مقوسة ومنافذ للنور والهواء، ومازالت هذه المساجد باقية وعامرة.

مسجد شاه جهان التاريخي

بنى الإمبراطور المغولي شاه جهان صاحب ضريح تاج محل مسجداً فخماً في دلهي أمام قلعته وقصره في 1656م ولعله أفخم وأجمل المساجد في الهند كلها وأحد المساجد الكبرى في العالم وقد بني على قاعدة مرتفعة ويقال أنه أراد أن يكون مسطح أساس مسجده متساوياً لسطح قصره ليكون بناء بيت الله أرفع من بناء بيته ولكي يرى المسجد من جميع جوانب عاصمته وقد أنشئت على جوانبه الثلاثة مدرجات عديدة تؤدي الى أبواب الدخول الى ساحة المسجد واقيمت على سطحه الغربي ثلاث قباب مرمرية ومنارتان عاليتان تشاهدان من كل ضواحي العاصمة، وفي الجانب الشرقي تقع البوابة الرئيسية المواجهة للقلعة الحمراء التي كانت قصراً للإمبراطور ومقراً لدولته وكان يحضر مع حاشيته من هذه البوابة ولذا سميت (شاهي دروازة) أي الباب الملكي الخاص، وقد بني أيضاً مسجداً صغيراً فخماً من المرمر الخالص في داخل قلعته ولايزال محتفظاً بجماله وبهائه ويسمى مسجد اللؤلؤ.

مساجد حيدر أباد وكشمير

وتمتلئ مدينة حيدر أباد بعدد كبير من المساجد التاريخية الجميلة التي تدل على روعة الفن الإسلامي في بناء المساجد في الهند في مختلف العصور، منها مسجد كولبركة المشيد في 1367م وله قباب مستطيلة وأبواب مقوسة ويغلب عليه الفن المعماري الفارسي أكثر من الفن العربي أو الهندي وهو مسقف كله ليس فيه أي جزء مكشوف كما أن قوائمه وأعمدته منخفضة بدرجة ملحوظة، ومنها مساجد مدن كولكندا وسكندر أباد وحيدر أباد. وتمتاز مساجد كشمير بفنها البنائى الخشبي الذي اشتهرت به كشمير دون سائر المدن الأخرى، ونجد مسجد شاه همران في سير ينجار عاصمة كشمير وكذلك المسجد الجامع فيها وغيرها عشرات المساجد المنتشرة في أنحاء كشمير الجميلة وقد أقيمت على أعمدة مصنوعة من الخشب الخالص بمختلف الأحجام والأشكال، ومن المدن الأخرى الشهيرة بالمساجد التاريخية بومباي وكلكتا والبنجاب وأجرا ولكناو وجوجرات وغيرها.

سمات عمارة المساجد الهندية التاريخية

نستطيع تقسيم المساجد الأثرية في الهند الى ستة طرز.. هي:

الطراز الأول: مساجد تتكون من صحن وأربع ظلات.

الطراز الثاني: مساجد تتكون من صحن وثلاث ظلات.

الطراز الثالث: مساجد تتكون من صحن وظلتين.

الطراز الرابع: مساجد تتكون من صحن وظلة واحدة.

الطراز الخامس: مساجد متعددة الصحون.

الطراز السادس: مساجد بلا صحن (مساجد مغلقة)

أولاً - الطراز الأول:

ويتكون المسجد في هذا الطراز من صحن (فناء) أوسط مكشوف سماوي يحيط به من جهاته الأربعة أربع ظلات أكبرها عادة ظلة القبلة، ويعد هذا الطراز من أقدم المساجد في الهند، فإلى هذا الطراز ينتمي أقدم مسجد أثري باق بمدينة دلهي، وهو مسجد (قوة الإسلام) (قطب منار) الأصلي في عهد السلطان قطب الدين أيبك مؤسس المسجد، وقد وصلنا العديد من المساجد التي تتبع هذا الطراز ومن أهمها (بيجمبوري، كالان بدلهي، وخير المنازل)· وهناك المسجد الجامع الكبير، المسجد الجامع، ومسجد فتحبوري بيجم·· وجدير بالذكر أن طراز الصحن والظلات الأربع من أكثر المساجد شيوعاً في العالم الإسلامي أجمع·

ثانياً - الطراز الثاني:

تتكون مساجده من صحن مكشوف وثلاث ظلات·· ظلة القبلة الغربية والظلتان الجانبتان - الشمالية والجنوبية، ولا توجد ظلة مؤخرة (ظلة شرقية)، ومن أشهر أمثلة هذا الطراز مسجد همايون شاه بأجرا، المسجد الأكبري- مسجد الإمبراطور أكبر بأجرا- مسجد كالان- الجامع الأسود والمسجد الجامع بأجرا، وظلة القبلة في مسجد همايون شاه وأكبر شاه من بلاطتين، الاولى بلاطة المحراب يعلوها ثلاث قباب والبلاطة الخارجية مغطاة بسقف مسطح وتشرف على فناء المسجد ببائكة من العقود المفصصة، أما ظلة القبلة في مسجد كالان فتتكون من بلاطة واحدة مقسمة إلى خمس مربعات تفتح على بعضها بفتحات معقودة بعقود مدببة وتعلو هذه الظلة خمس قباب بصلية الشكل أكبرها القبة التي تعلو مربعة المحراب، أما ظلة القبلة في المسجد الجامع بأجرا

فتتكون من بلاطتين، كل بلاطة مقسمة الى سبعة مربعات وتعلو كل مربعة قبة، فيكون عدد القباب فوق ظلة القبلة أربع عشرة قبة أكبرها القبة التي تعلو مربعة المحراب. وتتميز مساجد هذا الطراز بوجود حوض كبير للوضوء وسط الصحن المكشوف يتوضأ منه المصلون مباشرة دون صنابير للمياه مما يؤدي الى تلوث المياه التي ما تلبث ان يتحول لونها الى اللون الأخضر الداكن من التلوث والطحالب، ويوجد هذا الحوض في وسط الصحن في مسجدي همايون شاه وأكبر شاه والمسجد الجامع بأجرا وبالقرب من حدود الصحن الشرقية لمسجد كالان.

ثالثاً -الطراز الثالث:

يتكون المسجد في هذا الطراز من صحن مكشوف وظلتين، ظلة القبلة الغربية والظلة المقابلة - الشرقية - أحياناً تكون هاتان الظلتان متساويتين في المسجد مثل مسجد (باراجومباد) بدلهي، وأحياناً تكون ظلة القبلة أكبر كثيراً من الظلة المقابلة مثل مسجد ناجينا بقلعة أجرا حيث تتكون ظلة القبلة من بلاطتين كل بلاطة من ثلاث مربعات يغطيها قباب، ولا تمتد الظلة بامتداد جدار القبلة كله وانما على جانبيها قاعدتان مستطيلتان، أما الظلة المقابلة فمقسمة الى قاعتين مستطيلتين تستخدمان كمصلى للنساء.

رابعاً -الطراز الرابع:

ويتكون المسجد في هذا الطراز من صحن وظلة واحدة هي ظلة القبلة، ويمثل هذا الطراز في مساجد مدينة أجرا مسجد تاج محل، ويعد من أكثر طرز عمارة المساجد انتشاراً في الهند حيث وصلنا العديد من المساجد من صحن وظلة واحدة مع اختلاف تخطيط ظلة القبلة في هذه

المساجد، ومن أهم هذه الأمثلة المسجد الجامع في قلعة بورانا المعروف باسم جامع) كيلاكونا) الذي بناه شيرشاه سنة 1541م ليكون المسجد الجامع لعاصمته بورانا·· ومسجد عيسى خان بدلهي، ومسجد أفساوولا والمسجد المغولي بمنطقة قطب منار، ومسجد القلعة الحمراء (موتى) ويرجع تاريخ إنشائه إلى الإمبراطور المغولي أورانجزيب في أواخر القرن السابع عشر، ومسجد صفادارجانج بدلهي·

خامساً -الطراز الخامس:

يوجد من هذا الطراز عدة مساجد في الهند حيث يشتمل المسجد على عدة صحون أفقية موزعة في مساحة المسجد، ومن أول هذه الأمثلة مسجد قوة الإسلام (قطب منار) بعد زيادة السلطان المملوكي ألتماش 710هـ/ 1311م حيث أصبح المسجد يشتمل على ثلاثة صحون: صحن المسجد الأصلي، وصحن إلى الشمال منه، وآخر إلى الجنوب منه·· وقد أمدتنا الدولة الطغلقية في الهند بأجمل أمثلة من هذا الطراز حيث وصلنا من هذه الدولة مسجدان هما مسجد (خيركي) ومسجد (كالان) بمنطقة نظام الدين، والمسجدان متشابهان كل منهما يشتمل على أربعة صحون موزعة توزيعاً منتظماً في ساحة المسجد، ويشبهان تماماً بعض المساجد الهندية المتعددة الصحون·

سادساً - الطراز السادس:

والمسجد من هذا الطراز عبارة عن مساحة مغطاة بكاملها (ظلة واحدة) تفتح على الشارع مباشرة، وليس للمسجد فناء أوسط أو فناء خارجي. ويمكن تقسيم هذا الطراز إلى نوعين:

1. المسجد ذو القبة الواحدة، وهو عبارة عن مساحة مربعة كبيرة تغطيها قبة ضخمة، وهو غير مقسم تقسيماً داخلياً الى بلاطات، ومن أهم أمثلتها مسجد خيزرخان الذي يرجع تاريخه إلى سنة 721هـ/1321م.
2. المسجد ذو البلاطات والقباب المتعددة، وهذا النوع أكبر من الأول، وتنقسم مساحة المسجد عادة إلى عدة بلاطات مقسمة إلى مربعات يعلوها قباب مختلفة الأحجام، ومن نماذج هذا الطراز المسجد الجامع في مدينة كلبرجا 769هـ/ 1367م وبارى خان بالبنغال (بنجلاديش) والذي يرجع تاريخه الى 870هـ/ 1465م ويتكون من مساحة مربعة تعلوها قبة تتقدمها ردهة مغطاة بقبو، وأيضاً مسجد شاماكتي بالبنغال 884هـ/ 1487م ويشبه في تخطيطه مسجد بارى خان.

ومن نماذج النوع الثاني هو المسجد المغطى بقباب متعددة مسجد باب آدم الشهير بالبنغال، ومسجد بلخ بإيران، ومسجد باراسونا بجنوب البنغال والذي يرجع تاريخه الى سنة 932هـ/ 1526م.

سمات مميزة

وتمتاز واجهات ومداخل وأبواب مساجد الهند بالضخامة والفخامة التي تشبه الأسوار والأبراج في ضخامتها حتى تقاوم الغزاة، وبزيادة مساحتها عن غيرها من المساجد خارج الهند واشتهرت الجدران بارتفاعها.

أما المآذن فقد اشتهرت بشكلها المستدير العظيم الارتفاع وهيئتها الفخمة التي تعتبر منارة القطب مثالاً لها، يصل ارتفاعها الى 72.5 متراً وقطر قاعدتها 15 متراً وتتناقص مع ارتفاعها أثناء صعودها الى أعلى لتصل الى ثلاثة أمتار فقط عند القمة وتشتهر المآذن بشكلها المضلع، كما أنها تشبه أعمدة متجاورة متلاصقة ولها شرفات تستخدم للمؤذن الذي يدعو للصلاة، واتخذت المآذن الأسلوب السجلوقي الذي كثر في غزنة بأفغانستان.

ومن سمات القباب بالهند أثناء حكم سلاطين أفغانستان والتيموريين كونها ذات شكل بصلي، وتعتمد طريقة القباب على الشكل الأسطواني، أو بطريقة الانتقال من الشكل المربع إلى المستدير بواسطة وضع مثلثات كروية (حنايا) في أركان المربع ومن أعلى قمم هذه المثلثات يتكون الشكل الدائري الذي ترتكز عليه طاقية القبة البصلية وتجاور القبة الضخمة قباباً أخرى أصغر منها أو متوسطة الحجم وهذه سمات واضحة تماماً دائماً، وتشيد القبة الكبرى فوق محراب المسجد كما يتضح في مبنى المركز الإسلامي في الهند بمدينة دلهي[1].

ومن الآثار المعمارية الهندية المتأثرة بالعقيدة الإسلامية المساجد، كان منها مسجد الجمعة في مدينة بومباي، والمسجد الجامع المسمى

(1) مجلة الوعي الإسلامي، العدد 493.

«مسجد مكة» والذي يعد من أضخم وأوسع المساجد في العالم والذي يقع في مدينة حيدر أباد. أما مسجد الجمعة فيتميز بمئذنتين التى اصبحت مهمة في تاريخ الفن المعماري الإسلامي المتأخر في الهند، وكلا المسجد الجامع مع مسجد الجمعة نمط نموذجي يتكون من صحن مثلث مفتوح واسع تحيط به قباب «إيوانات» في كل جوانبه الأربعة، أما القبة الغربية فكانت أعمق من الأخريات وتشكل الحرم المقدس، وفي وسط الحائط الخلفي للحرم المقدس، وفي جانبه الداخلي يوجد المحراب الذي يشير إلى الاتجاه الصحيح للقبلة عند الصلاة أي اتجاه مكة المكرمة.

إن أول مسجد في دلهي يرجع إلى التأثير العظيم للعقيدة الإسلامية بناه الإمبراطور قطب الدين واكتمل بناؤه في عام 1198م يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب حوالي مائتين وعشرة أقدام، أي من المقدمة للمؤخرة، وحوالي 150 قدماً من الشمال إلى الجنوب، أما في الداخل فإن الأبعاد هي 142 ، 108 أقدام، وفي الهند نجد المحراب دائماً في الطرف الغربي، لقد شيد المسجد على أنقاض معبد هندوسي، لكن نقشاً عربياً على الحائط الشرقي يشير إلى مواد البناء، وكل هذا الأثر يبرز عظمة التصميم الإسلامي مع سقف منقوش عرضه اثنين وعشرين قدماً وثلاثة وخمسين قدماً في الارتفاع.

ويلاحظ أن منارة (مئذنة) مسجد الإمبراطور قطب الدين لا تلقى بظلالها يوم 22 يونيو من كل سنة وهي ظاهرة نادرة الحدوث، خاصة لأن المنارة تلقى بظلالها في الأيام الأخرى حتى عند انتصاف النهار (الظهر) بسبب ميلانها إلى جانب. وقد بدأ إنشاء مسجد قطب مينار من قبل قطب الدين في عام 1199م، كنصب تذكاري للنصر وكملحق تابع للمسجد

المجاور له، ويبلغ ارتفاع مئذنة المسجد 72.5 متراً ليصل صوت الأذان إلى أكبر عدد من المسلمين.

وبعد وفاة الإمبراطور قطب الدين خلفه في الحكم زوج ابنته «ألتماش» في عام 1225م، والذي قام بتوسيع السطح إلى ثلاثة أضعاف في العرض شمالاً وجنوباً وشيد أيضاً جناحاً شرقيا جديداً حتى وصل اتساعه إلى 370 قدماً طولاً و280 قدماً عرضاً، كما اسس منارة أو مئذنة ضخمة وصل ارتفاعها 238 قدما، والتى كان السلطان قطب الدين قد وضع أساسها.

وفي عام 1300م بدأ الإمبراطور علاء الدين الذي تولى العرش في دلهي عام 1296م، والذي غزا جزءاً من جنوب شبه القارة الهندية، في توسيع مسجد «قوات الإسلام» ببناء مئذنة ضعف ارتفاع مئذنة قطب الدين، وفي البوابة الجنوبية للمسجد يوجد بناء صغيراً يعد تتويجاً للفن الإسلامي في الهند. وقد واصلت الهند دورها كعاصمة حقيقية للهند الإسلامية. حيث كانت أول مدينة إسلامية - والتى أسسها قطب الدين – لتستمر كعاصمة لمدة ألف عام.

ومن المساجد المعروفة تاريخاً المسجد الجامع في «كمباي عام 1325م) ومسجد «هلال خان كازي» في «دولقا» بالقرب من مدينة «أحمد أباد» والذي شيد عام 1333م، وفي «جوليارجا» في هضبة الدكن يوجد مسجد مشهور يعتبر الأول من نوعه في الهند، وقد أسس في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي (1350م) وهناك رواية تقول أن مصمم بناءه كان مهندساً معمارية من مدينة «قرطبة» الأندلسية الإسلامية الشهير حيث أن أسقفه عادية في الشمال والجنوب والمشرق مع

قباب على كل ركن مع قبة أكبر على المحراب، وكان السقف على الجزء المتبقى من المسجد مكشوفاً[1].

وفي شمال الهند يوجد مسجدان مشهوران في «جونبور» بالقرب من مدينة «بنارس» وأحدهما مسجد «إبراهيم نائب بارباك» في قلعة المدينة والذي اكتمل بناؤه عام 1377م، والمسجد الثاني هو مسجد «أتالا» الذي تم بناؤه عام 1408م، وملمح هذا المسجد يشبه النموذج الفارسي في المساجد مع قبو عظيم عند مدخله، أما الحوائط في الجزء المربع فهي على الطراز الهندي، لكن الأقواس والقباب فهي إسلامية المعمار.

وكانت أشهر مساجد دلهي خلال الفترة الممتدة من عام 1421-1526م، وكان منها مسجد «موتيكي» وهو مشهور بحوائطه العالية وقبابه المرتفعة، ومسجد «كيردور» المشهور بقبابه وهناك مسجدان رئيسيان في هذا القرن في «جونبور» وهما المسجد الجامع الذي تأسس عام 1438، والآخر مسجد «لالدرفار».

وفي مدينة «غور» عاصمة البنغال، كان هنالك مسجد «فيروزشاه منيارا» وتاريخه إنشائه عام 1490م وهو بناء يشبه برج مستدير على النمط الأيرلندي، له أكثر من مئذنة ومسجد «أكلاهي» إلى جانب المسجد الجامع في مدينة «ماندو» بمقاطعة «مالوي» والذي انتهى بناؤه عام 1454م، الذي يعتبر مسجداً شاملاً، فهو من الجانب المعماري له قباب واسعة فوق المحراب في الركن الشمالي الغربي، والركن الجنوبي

(1) نفس المرجع، ص168.

الغربي، وهو أيضا بناء إسلامي بعيد عن الفن الهندوكي، وتم بناؤه بالحجر الرملي الأحمر مع قطع من الرخام[1].

وكان أهم مركز معماري في تلك الفترة مدينة «الله أباد» عاصمة مقاطعة «جوجارات» فقد أسس المسلمون المباني والمسجد الجامع على النمط الهندي أساساً، رغم استخدام القباب لأغراض رمزية، ويتميز المسجد الجامع الذي بدأ بناؤه عام 1411م، وهو مسجد ضخم، ويمثل الاهتمام في بنائه بالإيوان الذي يضم 260 عموداً اسطوانيا تدعمها خمس عشرة قبة من الأحجار المنظمة التى بنيت على شكل أفقي.

ومن أشهر المباني المساجد التى شيدت في الفترة من 1526-1556م – أثناء الحكم المغولي – في دلهي مسجد «جمالي» (1258-1536م) ومسجد «عيسى خان» عام 1574م، وتعد فترة حكم السلطان «شاه جهان» (1628- 1658م) العصر الذهبي للفن المعماري الهندي، ،الذي خلف سلسلة من المباني العظيمة، والمساجد الشهيرة، منها الجامع الكبير الذي بناه في الفترة من 1624- 1658م، بالقرب من قلعة دلهي على مساحة كبيرة، وله مئذنتين اسطوانيين، ،أبرز معالمه موقعه الفريد على هضبة عالية مما يجعله يتميز عن أي مسجد إسلامي آخر، وبينما نجد أن القباب والمآذن والأجزاء الأخرى على النمط الفارسي، فالتأثير العام كان مهجنا، كما أن زوايا المقصورات كلها هندية تماما، وقد استخدم في البناء الرخام مع الحجر الرملي، ويعتبر من أكبر المساجد في الهند، ويتميز بتصميم معماري أخاذ.

([1]) نفسه، ص169-170.

وفي مدينة «بيجابور» التى كانت عاصمة المملكة المستقلة من عام 1489م حتى احتلها «أورانجزب» عام 1686م، يوجد المسجد الجامع الذي بدأ بناؤه عام 1576م. وهو من أروع المساجد في الهند، ففي مقدمة المحراب توجد قبة ضخمة غير عادية في البناء وبقية الإيوان مغطاة بعدد من القباب الحجرية الصغيرة، ولقد ظل النمط الفريد «لتاج محل» مقلداً في المباني من كل الأنواع سواء في المساجد والقبور والقصور والمنازل، حتى أدخل البريطانيون أخيراً محطات السكك الحديدية الهندوإسلامية والفنادق. وعلى هذا فإن المباني المشهورة التى شيدها السلطان «تيبو سلطان» في «سرنجاباتام» في القرن الثامن عشر كانت كلها ذات معمار إسلامي مع بعض التأثيرات الهندية[1].

([1]) المرجع السابق، ص171-173.

الهوامش والمصادر

1. جودة حسنين جودة: جغرافية آسيا الإقليمية، الإسكندرية، 1990، ص.466

2. Y.P. Chathely: Education Population and Development, A Regional Perspective of Northwest India, Center for Research in Rural and Industrial Development, New Delhi, 1995, P. 38.

3. أحمد محمود الساداتي: تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، القاهرة، 1979م، ص.8

4. السيد خالد المطري: دراسات في سكان العالم الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، 1405هـ / 1984م، ص322- 329.

5. إسماعيل ياغي: تاريخ شرق آسيا الحديث، الرياض، ص.35

6. أبو الحسن على الحسيني الندوى: المسلمون في الهند، لكهنئو، 1987م، ص.12

7. عبد المنعم النمر: كفاح المسلمين في تحرير الهند، القاهرة، ص.19

8. إحسان حقي: باكستان، ماضيها وحاضرها، ص.41

9. لوثروب ستودارد: ترجمة عجاج نويهض: حاضر العالم الإسلامي، جـ4، بيروت، ص.180

10. عبد المنعم النمر: المرجع السابق، ص.21

11. إحسان حقي: المرجع السابق، ص90- 91.

12. لوثروب ستودارد: المرجع السابق، ص.321

13. أبو الحسن الندوي: المرجع السابق، ص.19

14. نفس المرجع، ص.20

15. نفس المرجع، ص.71

16. M. Panikar: AS Survey of Indian History, London.

71. G. Nihrou: Discovery of India, New Delhi.

18. تراث الهند: تحرير: ج.ت. جارات، ترجمة جلال السعيد الحفناوي، مراجعة عبد الله عبد الرازق، القاهرة، 2005م.

19. مجلة الوعي الإسلامي: العدد رقم 493.

india
TOURIST MAP
SCALE
REFERENCES
JAMMU AND KASHMIR
HIMACHAL PRADESH
PUNJAB
UTTARANCHAL
HARYANA
DELHI
RAJASTHAN
UTTAR PRADESH
BIHAR
JHARKHAND
WEST BENGAL
KOLKATA
SIKKIM
BHUTAN
ARUNACHAL PRADESH
ASSAM
MEGHALAYA
NAGALAND
MANIPUR
TRIPURA
MIZORAM
BANGLADESH
MYANMAR (BURMA)
NEPAL
KATHMANDU
TIBET
CHINA
PAKISTAN
GUJARAT
MADHYA PRADESH
CHHATTISGARH
ORISSA
MAHARASHTRA
MUMBAI
ANDHRA PRADESH
KARNATAKA
TAMIL NADU
PUDUCHERRY (Py)
BAY OF BENGAL
ARABIAN SEA
ANDAMAN AND NICOBAR (INDIA)
ANDAMAN SEA
PORT BLAIR
LAKSHADWEEP (INDIA)
SRI LANKA
MALDIVES
I N D I A N O C E A N
©GOVERNMENT OF INDIA COPYRIGHT, 1983